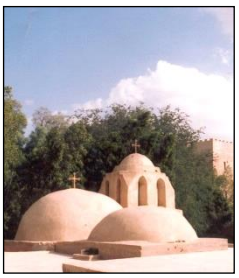

«وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦: ١٨)

الكنيسة القبطية في القرن العشرين

البابا يوساب الثاني

البطريرك الخامس عشر بعد المائة

في عداد بطاركة الكرسي الإسكندري

(١٩٤٥م - ١٩٥٦م)

- ٢ -

تكملة لسيرة البابا يوساب قبل رسامته للبطريركية:

بعد نياحة البابا يؤنس التاسع عشر في ٢١ يونيو ١٩٤٢ اجتمع المجمع المقدس والمجلس الملي العام، كل على حدة، ودون أن يكون هناك سابق اتفاق، تم اختيار الأنبا يوساب مطران جرجا ليكون قائم مقام إلى حين اختيار بطريرك جديد، فظل يدير البطريركية تسعة عشر شهرًا.

وأثناء وجود الأنبا يوساب في النيابة البطريركية رشحه كثيرون للبابوية، بينما زكى آخرون الأنبا مكاريوس مطران أسيوط. وعند الانتخاب نال الأخير غالبية الأصوات، ورُسم بطريركًا باسم مكاريوس الثالث في ١٣/ ٢/ ١٩٤٤. وقد اشترك الأنبا يوساب في تنصيب البطريرك الجديد، وعاد بعدها مباشرة لمقره في جرجا.

لم تطل أيام البابا مكاريوس على كرسي البطريركية أكثر من سنة ونصف، وبعد نياحته في ٣١ أغسطس ١٩٤٥ اختير الأنبا يوساب ليجلس على الكرسي البطريركي ليصبح البابا المائة والخامس عشر. وكان هو آنذاك بمقر مطرانيته بجرجا، وما أن سمعت جماهير شعبه هذا النبأ حتى توافدت إلى المطرانية لتهنئة أبيهم وراعيهم المحبوب، وأمر جلالة الملك فاروق بأن يتحرك من القاهرة قطار خاص على نفقة الحكومة المصرية متجهًا إلى جرجا لاصطحاب البابا الجديد إلى القاهرة لتنصيبه على الكرسي البابوي.

وفي يوم الأحد الموافق ٢٦ مايو ١٩٤٦م تم تنصيب نيافة الأنبا يوساب مطران جرجا وبهجورة وفرشوط بطريركًا على كرسي مار مرقس الرسولي ليصبح البابا ال١١٥ في عداد بطاركة الإسكندرية.

وفي رسالته الرعوية الأولى يوم تتويجه تعهد فيها بالتالي:

١- المحافظة على وحدة الأمة المصرية سليمة لا يمسها أذى. ٢- توثيق العلاقات بين الكنيسة القبطية المرقسية وكبرى بناتها الكنيسة الأثيوبية. وأن تكون علاقتنا مع الطوائف الأخرى قائمة على سياسة التفاهم والإخلاص المتبادل. ٣- النهوض بالإكليروس القبطي، نهضة تتفق مع مقتضيات العصر من التبحر في العلوم الدينية والمدنية، والتدرب على معالجة المشاكل في ضوء تعاليم المسيحية ومبادئها. الاعتناء بإيفاد النابغين من الطلبة للبلاد الأوروبية حتى ينهلوا من بحر الثقافات الدينية الأرثوذكسية، ويعودوا إلينا وقد ازدادوا خبرة وعلمًا. ٤- وضع نظام للأديرة القبطية حتى يتمكن الرهبان من المحافظة على تراثهم القديم الخالد، منقطعين للعبادة مُتجمِّلين بصفات القداسة والطهارة والوداعة. ٥- ملء الإبروشيات الخالية باختيار ذوي الكفاءة من الرهبان. ٦- إنعاش الحياة الروحية القائمة على تفهم تعاليم المسيح الطاهرة ومبادئه المقدسة، وأن يعود الأقباط إلى ما كان عليه أسلافهم من التقوى، والأخلاق الفاضلة، والإيمان والمُثل العُليا، ويُبعد الشباب عن زيف الدنيا ومباهجها الخاسرة. ٧- القضاء على الأمراض الاجتماعية: الفقر والمرض والجهل.

فلنطهِّر قلوبنا من الأهواء والشهوات، ولننزه نفوسنا عن المطامع الدنيوية والغايات، ولنوحد صفوفنا، حتى نبدأ عهدًا جديدًا، بإذن الله، في تاريخ كنيستنا القبطية، عهد الرُقي والازدهار. وليكن شعاركم باستمرار هو وصية الكتاب: «عيشوا بالسلام. وإله المحبة والسلام سيكون معكم» (٢كو ١٣: ١١). ولله وحده المجد والكرامة والعظمة والشكر، إلى أبد الآبدين. أمين.

الأعمال الجليلة للبابا يوساب الثاني

أولًا: الدفاع عن حقوق الأقباط:

قام غبطته بالعديد من الأعمال العظيمة وسجَّلها التاريخ بأحرف من نور:

١- المطالبة بتمثيل الأقباط تمثيلًا عادلًا: وذلك عندما أصدر وزير العدل بيانًا عن ترقيات رجال النيابة والقضاء، وكان مُجحفا في حق الأقباط. فقام قداسته بكتابة مذكرة رفعها لرئيس الوزراء مُطالبًا بتصويب موقف الوزير لخطورته على الوحدة الوطنية. وقد تمت الاستجابة لهذا الطلب بعد أن تم رفعه إلى جلالة الملك.

٢- تدريس الدين المسيحي ومناهجه للطلبة المسيحيين بالمدارس، فقد كان يُجبر الطلاب المسيحيون على تعلم الدين الإسلامي، بل على أداء الامتحان فيه. وقد تم مخاطبة وزير المعارف العمومية، السنهوري باشا، بأن ذلك هو اعتداء صارخ على الحرية الدينية التي كفلها الدستور. وقد استجاب الوزير لكتاب البابا. وتم وضع مناهج الدين المسيحي للمراحل المختلفة، وجعله مادة أساسية للطلبة المسيحيين.

٣- تقرير أجازات الأقباط في أعيادهم. فنتيجة طلب وسعي غبطة البابا يوساب، قرر مجلس وزراء الثورة منح الموظفين الأقباط في الدولة خمسة أيام خاصة بأعيادهم، وهي: عيد الميلاد، عيد الغطاس، أحد الشعانين، خميس العهد، عيد القيامة المجيد. كما يُسمح لهم بالتأخير لمدة ساعتين كل يوم أحد لتمكينهم من مباشرة شعائرهم.

ثانيًا: في مجال الإنشاء والتشييد والتعمير:

١- إعادة بناء الكاتدرائية المرقسية بالإسكندرية، وهي التي تُعتبر أول كنيسة أنشئت في مصر. وقد ظلت هذه الكنيسة هي المقر الرئيسي لخلفاء مار مرقس الرسول، إلى أن انتقل إلى القاهرة في عهد البابا خريسوذولوس البابا ٦٦. وقرر البابا يوساب الثاني هدمها وإعادة بنائها بصورة أفضل، وفعلًا قام البناء الجديد جميلًا شامخًا، وفي احتفال كبير صباح الأحد ٩ نوفمبر ١٩٥٢م قام غبطته بتكريس الكنيسة بحضور مندوب عن اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية، ومندوب جلالة الامبراطور هيلاسلاسي. وكان الاحتفال رائعًا ومظهرًا هامًا للوحدة الوطنية في بداية عهد جديد بعد ثورة يوليو ١٩٥٢.

٢- بناء العديد من الكنائس، حيث يُنسب إلى قداسة البابا يوساب الفضل في بناء معظم

الكنائس على الأرض المصرية في زمن بطريركيته، وخصوصًا في القاهرة والإسكندرية.

٣- تعمير دير الأنبا صموئيل المعترف بجبل القلمون. كان هذا الدير خربًا، فقام قداسة البابا بتشجيع رئيسه في ذلك الوقت القس مينا البرموسي (البابا كيرلس السادس فيما بعد) لتعمير الدير وتوفير احتياجاته.

٤- بناء مبنى استراحة للآباء المطارنة والأساقفة. فقد شعر قداسته بمعاناة هؤلاء الأحبار عندما كانوا يفدون من إيبارشيتهم للقاهرة لحضور المجمع المقدس، فقام غبطته بإنشاء مبنى بجوار الكنيسة المرقسية بالأزبكية لتكون في خدمتهم.

٥- إنشاء وافتتاح القاعة اليوسابية الكبرى بجوار الكاتدرائية المرقسية الكبري بالأزبكية. وقد شرَّف الحفل مندوب الرئيس محمد نجيب، وحضر الدكتور طه حسين، بالإضافة إلى ممثلي الطوائف المختلفة ووجهاء المجتمع.

ثالثًا: البابا يوساب الثاني والتعليم الديني:

١- النهوض بالإكليريكية ونقل دراستها من مهمشة إلى دير الأنبا رويس. وكان ذلك حسمًا للخلاف الناشئ لشغل المبنى. وتم انتقال الطلاب إليه في نفس اليوم. وبناء على طلب غبطة البابا أمر معالي الدكتور طه حسين وزير المعارف بتعيين الإكليريكيين الخريجين مدرسين للدين المسيحي بالمدارس الحكومية. وتمت الموافقة على تأجيل تجنيدهم أثناء دراستهم أسوة بطلاب الأزهر. ومن ثم أخذت الكلية الصفة الرسمية.

٢- افتتاح المعهد العالي للدراسات القبطية. قال غبطته: "إن الهدف من المعهد هو أن يُعيد لنا مجد مدرسة الإسكندرية وسمعتها، وإيضاح عظمة الكنيسة القبطية في مختلف بقاع العالم". وتم افتتاح المعهد في ديسمبر ١٩٥٤.

٣- تشجيع اصدار العديد من الكتب الدينية والمجلات القبطية. فقد كان قداسته يُشجع الباحثين، ويمنح لكتبهم طُرس البركة. وفي أثناء حبريته صدرت عشرات المجلات القبطية، وبعضها باقٍ حتى الآن (مثل: مجلة مدارس الأحد، مجلة رسالة المحبة، مجلة رسالة الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية...).

رابعًا: البابا يوساب والعمل الكرازي:

١- **في جنوب أفريقيا:** حدث أن أرسل بعض المواطنين من جنوب أفريقيا خطابًا لقداسة البابا يقولون فيه إنهم من سلالة قبطية، ويطالبون الكنيسة القبطية في مصر برعايتهم روحيًا... فاختار البابا سكرتيره القمص أيوب الأنبا بيشوي للذهاب للخدمة هناك. وفعلًا سافر، وهناك وجد نفوسًا عطشى للمسيح والكنيسة القبطية، فبذل مجهودًا ضخمًا لخدمتهم، وانضم للكنيسة حوالي ٣٠٠,٠٠٠ شخصًا، الأمر الذي أسعد البابا بهذا الإنجاز الكبير. وبعد عام من خدمة القمص أيوب عاد للبلاد، ورسمه البابا أسقفًا على جنوب أفريقيا ونيجيريا باسم الأنبا مرقس.

٢- **الكرازة في السودان:** قام قداسة البابا بانتداب الخادم وهيب جورجي ليقوم برحلة في أنحاء السودان ليفتقد الأماكن النائية فيه. وبعد أن قضى ثلاثة شهور عاد وقدم تقريرًا مفصلًا لغبطة البابا، الذي أدرك حاجة أبناء السودان الأقباط إلى خدمة روحية، لذلك قام برسامة الأنبا باخوميوس أسقفًا على النوبة وأم درمان، والأنبا يوأنس أسقفًا على كرسي الخرطوم وبلاد الجنوب.

٣- **الخدمة في أثيوبيا:** كان رئيس الكنيسة الأثيوبية في ذلك الوقت المطران المصري الأنبا كيرلس. ولكن كان للأثيوبيين عدة مطالب من قداسة البابا الجالس على كرسي مار مرقس وهي: أ- رسامة مطران اثيوبي يتولى رئاسة الكنيسة الأثيوبية بعد نياحة الأنبا كيرلس. ب- رسامة ثلاثة أساقفة أثيوبيين. وفي عام ١٩٤٦جرى الاتصال بين الإمبراطور هيلاسلاسي وغبطة البابا يوساب لتحقيق هذه المطالب. وتم الاتفاق على الآتي: + اختيار مطران اثيوبي بعد نياحة الأنبا كيرلس. + حضور الراهب المختار إلى مصر ليرسمه البابا المرقسي مطرانًا. + يكون من حق المطران رسامة أساقفة أثيوبيين بعد موافقة البابا المرقسي. + تعيين مندوب بابوي ليقيم في أديس أبابا يكون بمثابة حلقة وصل بين الكنيستين. وبعد نياحة الأنبا كيرلس سنة ١٩٥٠، قام البابا يوساب بتعيين الأنبا باسيليوس (الأثيوبي) مطرانًا ورئيسًا للكنيسة الأثيوبية.

خامسًا: البابا يوساب ومدارس الأحد:

كانت مدارس الأحد في ذلك الوقت في أوج نشاطها، وذلك بهمة ونشاط الخادم الأمين

حبيب جرجس. وقامت اللجنة العليا لمدارس الأحد بإصدار الكتب والنشرات لشرح مناهج الدين المسيحي، وإعداد وسائل الإيضاح. وأرسل غبطة البابا خطابًا إلى الأستاذ حبيب جرجس يقول فيه: "علينا أن نبني جيلًا قويًا في الإيمان، راسخًا في العقيدة الأرثوذكسية ومبادئها القويمة". وأرسل خطابات إلى رعاة الكنائس لتحمل مسئولية خدمة مدارس الأحد. ويقول لهم: "قد وُضعت على عاتقكم مسئولية رعاية النفوس الثمينة، فلا بد أن تسهروا لئلا تُخطف من أيديكم إذا أغفلتم رعايتها. والويل للراعي الذي يغفل عن رعيته فتتبدد، وسنراقب بأنفسنا ما تبذلونه من جهود في تعهد هذه المدارس وتنميتها".

(يتبع)

****

**** بقية مقال: مفاهيم إنجيلية: بطرس وحقيقة الإنسان (المنشور صفحة ٣١) ****

كم نحتاجُ لاختبار مُذِل لفضح الجسد؛ فنتعلَّم كيف يخذلنا ويذلّنا، كما خذل بطرس؛ فأنكر سيده. نحن لا نعرف مقدار الخداع الذي في قلوبنا على حقيقته إذ إن نفس الآية التي يُذكَر فيها أنّ «اَلْقَلْبَ أَخْدَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَجِيسٌ» تكمل بهذا السؤال: «مَنْ يَعْرِفُهُ؟»، وفي الحال يُقدِّم النبي الجواب: «أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى». لقد سجَّل الروح القدس هذه الأحداث المؤسفة بالنسبة لبطرس، لا لكي نتخذها فرصة لكي نقلل من شأن خادم للرب، أبدًا! لكن لكي نعرف شرّ قلوبنا ولكي نتحذر لأنفسنا من ذلك. فبسقوطنا نتعلَّم خرابنا، وبردِّ نفوسنا نتعلَّم الثقة في إلهنا.

إنَّ محبة الرّب لا يمكن أن يعتريها أيُّ تبديل مهما تغيَّرت الأحوال وتبدّلت الظروف. إنّ الرّب في أحلك ظروف حياته، وهو عالم بكل ما سيأتي عليه من الآلام مُرعبة، ومن فعل خسيس من تلميذ خائن، ومن نُكران مُخجل من تلميذ واثق في ذاته، ومن هروب مُخزٍ من كل تلاميذه، وهو عالم بكل هذا، لم تفتر محبته، بل لم تتغير محبته لخاصته قيد شعرة.

فمَنْ ذا الذي يستطيع أن يدرك ما سيلحَق بمشاعره الرقيقة من أذى إزاء فعل خسيس ودنيء من ذلك الذي أشار الرب إليه في قوله بروح النبوة: «رَجُلُ سَلاَمَتِي ... آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ!» (مز ٤١: ٩). ومَنْ يستطيع أن يدرك ألم تلك الوخزة التي أدمت قلبه، عندما أعلن تلميذ آخر بلعنٍ وحلفٍ أنه لا يعرف هذا الرجل (مر ١٤: ٧١).